رسالة في التحذير من الصور وبيان حكم التصوير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وعبده وعلى آله وصحبه . وبعد :

فإن من الأمور التي ابتلينا بها في هذا الزمان ما نراه من كثرة التصاوير المحرمة التي حذر الله ورسوله من فعلها أيما تحذير وأوعد بالنار فاعلها والراضي بها والعياذ بالله ، وقد انتشرت من قبل عن طريق الكمرات ثم فشت عن طريق الجوالات ، وكثرت في الملابس والفرش والكتب والمجلات والألعاب والمواد التجارية والمعلبات الغذائية والفلوس والبطاقات، بل وتعدى شرها حتى وصل لتصوير المحاضرات الدينية ومعارك الجهاد والأخبار وغير ذلك ، فوقع الكثير فيما هو أشد من التصوير إلا وهو استحلال التصوير ، وهذا مصاب عظيم في الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والسبب في كثرة انتشارها المفرط هو قلة الإنكار الذي أخذ على أهل العلم وعدم تبيين الحق وإظهاره للناس طمعاً أو خوفاً أو ابتغاء رضا المخلوقين وطاعة في معصية الخالق ، والعجيب أنه اصبح الكثير يدافع عنها ويجادل ويشكك في تحريمها ووجوب المسارعة إلى طمسها كما أمر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فجعل من نفسه حارساً لمعاصي الله منتهكاً لحدوده مرضياً للناس بسخط الله ، والكثير الأكثر من ماتت الغيرة في قلبه على دين الله فنزل الإنكار مع كثرة السكوت من الإنكار باليد أو اللسان إلى ترك الإنكار بالقلب فصار المسلم يرى الصورة تلو الأخرى وربما في أقدس البقاع في بيوت الله ولا ينكر بقلبه ولا يتمعر وجهه غضباً لله ولو حصل في ماله أو عرضه أدنى تعدي لبان أثر الغضب في وجهه وتصرفه أما إذا كان التعدي على دين الله فلا يقيم لذلك وزناً همه دنياه وشهواته ، بل وصل الأمر في زماننا إلى تنافس كثير من المفتونين بتعليق الصور وإظهارها وتعظيمها بدل إنزالها وطمسها وإهانتها ، وفي هذا أعظم المعاندة للشرع والعياذ بالله.

كل هذا جعلني أذكّر إخواني المسلمين بالأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على حرمة الصور عموماً بدون استثناء سواءً كان التصوير للدعوة أو العمليات الجهادية أو الذكرى أو التعليم أو التعليق أو غير ذلك وسواءً كانت الصور مرسومة باليد أو بآلة حديثة للتصوير أو بالفديو أو بالنت أو بالجوالات أو كانت تمثالاً مجسماً، كل هذا داخل في عموم الصور المحرمة المشتملة على علل التحريم التي جاءت بها النصوص وبينها أهل العلم .

فالتصوير يعتبر محرما ومن كبائر الذنوب ويدخل في الشرك في الربوبية لأن فيه تشبها بالله في أخص صفاته وهي الخلق كما أن فيه تعظيم المخلوق والغلو فيه وقد يخشى على من يستحله الوقوع في الردة.

ومن عقوبات المصور الواردة في الأحاديث : أنه أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، وأنه ملعون مطرود من رحمة الله ، وأن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم ، وأنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

وإليك الأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على حرمة التصوير :

١- ما جاء عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى : **(ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذره أو ليخلقوا حبه أو ليخلقوا شعيره)** رواه البخاري ومسلم .

ومعلوم أن الخلق هنا التصوير إذ أن الإنسان لا يخلق حقيقة وإنما خلقه الذي أنكره الله هو التصوير وليقف المسلم عند أمر الله وليعلم هذا الحديث ويعمل به وليحاسب نفسه ويدع التعلل بالشبهة والتلاعب بدين الله .

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **(أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله)** رواه البخاري ومسلم .

٣- عن عبد الله ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)** رواه مسلم .

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم)** متفق عليه.

٥- لمّا جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : إني رجل أصوّر هذه الصور فأفتني فيها، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم)** . ثم قال له : إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس فيه . رواه مسلم.

٦- وعنه أيضاً مرفوعاً **(من صوّر صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)** رواه البخاري ومسلم .

فليحذر كل الحذر المصورون بالكاميرات والجوالات والرسامون ومعلقو الصور من عموم هذا الحديث وليحاسبوا أنفسهم ويقفوا عند حدود الله ولا ينتهكوا محارم الله .

٧- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي ﷺ: ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ :**(أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)** رواه مسلم. وفي لفظ : (تمثالا) بدل القبر.

وهنا نكره في سياق النهي وهي من دلالات العموم فلا تدع صوره إلا وتطمسها وتزيلها بيدك بأمر رسول الله ﷺ غير ناظر لمخالفة غيره أو غضب وأمر المخلوق، وفي قوله طمستها والتفريق بينه وبين الشيء البارز دليل أن الصورة ليس لها ظل ، ويؤيد ذلك حديث عائشة الذي سيأتي في الصور التي كانت على الوسادة.

٨- قال ﷺ :**(لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة)** رواه البخاري .

٩- عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت على بابي درنوكاً - أي ستر له خمل - فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته . متفق عليه.

وفي رواية:سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه .

١٠- وعنها أنها اشترت نمرقة - وسادة – فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب ولم يدخل فعرفت في وجهه الكراهة ، فقالت : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت فقال رسول الله ﷺ : ما بال هذه النمرقة . فقالت اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ: **(إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم أحيوا ما خلقتم)** رواه البخاري ومسلم .

والملاحظ في أدلة تحريم التصوير أنها جاءت عامة بدون استثناء أو تخصيص مما يقطع بتحريم التصوير سواء كان التصوير للذكرى أو الدعوة أو التعليم أو التعليق أو غير ذلك وسواءً كانت الصور مرسومة باليد أو بآلة حديثة للتصوير بالفيديو أو بالنت أو بالجوالات أو كانت تمثالاً مجسماً، كل هذا داخل في عموم الصور المحرمة المشتملة على علل التحريم التي جاءت بها النصوص وبينها أهل العلم .

ونقول لمن خالف وخصص التحريم بما كان باليد وجوز التصوير بالكمرة والآلة أن القتل يشمل ما كان باليد أو بآلة فكذا التصوير ، ثم يقال الرسول ﷺ نهى عن التصوير وحذر المصور ، فما هي اسم هذه التي خرجت من الآلة وماذا يسمى فعله ، فهل سيكون جوابهم أنها ليست صورة وفعلها لا يدعى تصويرا ، مما يدل على مخالفتهم للحقيقة الشرعية واللغوية والعرفية.

وأما الأوجه والعلل التي من أجلها حرم الله علينا التصوير فمنها :
١- مشابهة لخلق الله ومضاهاة لصنعه وفعله كما في حديث أبي هريرة وعائشة.
٢- أنه وسيلة للوقوع في الشرك إذ أن أول شرك وقع على هذه الأرض حصل في قوم نوح وكان سببه التصوير كما جاء عن ابن عباس.
ومن هنا تظهر العلة بين الجمع بين القبر والتصوير في حديث أبي الهياج وحديث : (بنوا على قبره مسجدا وصوروا على قبره التصاوير) وهي أن كلتيهما من وسائل وقوع الشرك .
٣- أن فيه غالباً تعظيم غير الله والتعظيم من خصائص الله عز وجل الذي لا يستحقه أحد سواه ولا يكون إلا له ، والتعظيم يزيد الأمر شناعة، فتعليق الصور وتعظيم أصحابها وكأنهم آلهة معبودة معظمة من دون الله تعالى .
٤- التشبه بالكفار في شنيع أفعالهم وقبيح تصرفاتهم خصوصاً اليهود والنصارى بتعليق صور علمائهم ورؤسائهم كما جاء في حديث أم سلمة .
٥- تنقص الرب ﷻ في محاولة التشبه به وترك الأدب معه وتعظيمه.
٦- أنها سبب لعدم دخول الملائكة البيوت التي فيها صور ودخول الشياطين بدلها.
وغير ذلك من العلل القاضية بتحريم التصوير .

وليعلم المسلم أن المنهيات في الشريعة تحرم ولو لم يقصد فاعلها العلة التي حرمتها، ومن أمثلة هذه القاعدة تحريم التصوير ولو لم يقصد المضاهاة ، وتحريم التشبه بالكفار في الزي الظاهر ولو لم يقصد المتشبه مشابهتهم ، وتحريم الخمر ولو لم يقصد شاربه الإسكار.

ومن تأمل في هذه الأدلة الصحيحة والعلل المحرمة الصريحة يتبين ضلال من زعم أن تحريم التصوير مسألة خلافية واغتر بكثرة الفتاوى المضللة ، وهيهات أن يساوى قول من أدلته قال الله وقال رسوله وأدلته في الصحيحين بلعنة المصور وشدة عذابه وبين من دليله قول فلان وفلان ، وأدلة فلان وفلان أن هذا ليس بتصوير وإنما هو حبس ظل وهو مثل المرآة ونحو ذلك من ساقط القول وفاسد الفهم نعوذ بالله من الضلال .

وبعد أيها المسلم فهذه الأحاديث والعلل ذكرناها وبيناها تذكيراً للناس وهي علامة فارقة بين المؤمن المستجيب لأمر الله وبين المخادع لله المرتاب في دينه فمن لم يستجب لكلام الله ورسوله فلا خير فيه ولن يستجيب لكلام غيره والأشد ظلماً وفساداً أن يقدم قول المخلوق وأمره على أمر ربه،وليعلم أن من لم يستطع أن ينكر هذا المنكر بيده فلا أقل من أن ينكره بلسانه وإن عجز أو ادعى العجز فليحذر من فعله أو انطماس نور قلبه بعدم إنكاره فضلا عن استباحته وتبريره. فلينكر ولو بقلبه وليعتقد بطلان هذه الصور والتماثيل وليحذر أن يتشرب قلبه هذه المعصية ويستسيغها فيهلك ، فمن عصى الله وهو معترف خائف أهون ممن استهان بمعصيته ورضي بها واستحلها .

وتيقن يا عبد الله أن الله سبحانه سيسألك لا محالة (**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتسائلون**) ، فستعلم حينئذ ما كنت فيه من الحق أو ضده من الانقياد لله وحده الذي جاءك عن رسوله والأوامر التي جاءت بها شريعته ودينه أو الانقياد لغيره وستعمى عليك الأنباء حينئذ وستذهب الحجج الباطلة . فما عساك أن تقول إن قال لك ﷻ أمرك رسولي بطمس الصور ونهاك عن التصوير وأخبرك بلعنتي للمصور وأنت لم تجبه ولم تأتمر بل صورت ما لا تحصيه من الصور ولم تنته فما ذا أجبتم المرسلين ؟ فهل تظن عندها يا قليل التذكر أنك ستقول أنت لم تحرم علينا إلا ما كان باليد ولم يحرم علينا رسولك التصوير بالكاميرات والجوالات ، أو أنك ستقول له هذا حبس ظل ، أو أنك ستقول هذه من زينة الله التي أخرجتها لنا ، أو ستقول أجازها لي الشيخ الفلاني وتقدمه على رسولك، أو ستقول أمرني بها ولي أمري وأطعنا سادتنا وكبراءنا، أم ماذا عساك أن تجيب به وماذا سيكون جوابك له وأنت موقوف بين يديه وهو يخاطبك بلا ترجمان ولا واسطة ؟ ألا فأعد لكل فعل تفعله وقولاً تقوله حجة بين يدي ربك ! وأعدّ للسؤال جواباً وللجواب صواباً .
هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه ناصحاً لنفسه وإخوانه المسلمين الفقير لعفو ربه خالد بن علي المرضي